آراء وافكار

تاريخ بعض الفاظ

في مقالة سبق لي ارسالها الى هذه المجلة في الموضوع الذي تجاذب اهدابه الاستاذان ابرهيم منذر واحمد رضا ذهبت الى صحة لفظة (راتب) بمعنى رزق مرتب لانسان يأخذه كل شهر او كل سنة او كل يوم . وأنذكر اني قلت انه من الرتوب بمعنى الاستمرار وان مثله لفظة (جارٍ) التي تستعمل في هذا المعنى ايضاً وهي نعت لمحذوف تقديره (رزق) او (عطاء) او ما أشبههما اي (رزق جارٍ) او (عطاء جارٍ) وقد وجدت ابن جبير الاندلسي يسمي مثل ذلك (إجراء) فيقول : « واجراءً يقوم به جميع مصالحه » صفحة ١٠ من رحلة ابن جبير . ويقول : « والاجراء على كل موضعٍ منها متصل » صفحة ١٩ .

ومنذ ايام عثرت في وفيات الاعيان لابن خلكان على لفظة راتب في المعنى الذي نستعمله اليوم وذلك في ترجمة الخليل بن احمد قال :

« وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابى صفرة الازدي وكان والي فارس والأهواز فكتب اليه يستدعي حضوره فكتب اليه الخليل جوابه :

ابلغ سليمانَ اني عنه في سعةٍ ... وفي غنىً غير اني لست ذا مالِ
شحّاً بنفسي اني لا ارى احداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال

(مع ابيات أخرى) .

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

ان الذي شقّ فمي ضامن ... للرزق حتى يتوفاني
حرمني مالاً قليلاً فما ... زادك في مالك حرماني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته وكتب الى الخليل يعتذر اليه واضعف راتبه فقال الخليل :

وزلّةٍ يكثر الشيطان ان ذكرت ... منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبنّ لخيرٍ زلّ عن يده ... فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

اذاً الراتب قديم الاستعمال .

المناداة — حدثني احد تجار بيروت ممن كان لي معه اخذ وعطاء منذ عشرين سنة فاكثر ، انه ذهب مرة الى اسبانيـة فبينما هو في احدى مدنها رأى في السوق مكاناً غاصاً بالناس مكتوباً فوقه (Almonada) فلم يفهم معنى هذه الكلمة اولاً ودخل بين الجمع فرأى بضائع تباع ودلاّلاً ينادي وعلم انه في المحل الذي تسميه عامتنا « بالحراج» وتسمي الدلاّل «بالمحرّج» — لعلهم اخذوها من التضييق والاصرار لان الدلال لا يزال يُلحّ ويصر في عرض السلعة الى ان يصرفها باحسن ثمن ممكن — وعند ذلك فطن لمعنى كلمة (Almonada) وعلم انها (المناداة) وان الاسبانيين اخذوها من العرب ووجه التسمية مناداة الدلاّل على السلعة . ومنذ ايام قلائل كنت أُراجع مقامات بديع الزمان الهمذاني فعثرت على هذه اللفظة بهذا المعنى نفسه وذلك في المقامة المضيرية حيث يقول :

« الله اكبر لا ينبئك أصدق من نفسك ولا أقرب من امسك اشتريت هذا الحصير في المناداة وقد أُخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات » .

فعلمت ان العرب كانوا يقولون « المناداة » لما نسميه اليوم « بالحراج » وان هذه اللفظة كانت تستعمل بهذا المعنى في هراة كما تستعمل في الاندلس .

المصادرات — ظهر من كلام بديع الزمان ان الكتّاب كانوا يستعملون المصادرة بمعنى تبليص الانسان من ماله كما نستعملها نحن اليوم . وفي لسان العرب يقول في مادة (صدر) : « ومن كلام كتّاب الدواوين ان يقال صودر فلان العامل على مالٍ يؤديه اي فورق على مالٍ ضمنه » واظن لفظة (فورق) هنا غلطة طبع وصوابها (قورف) كما رأيتها في تاج العروس في شرح القاموس اذ يقول :

« وصادره على كذا (من المال) طالبه به » .

ثم ينقل عبارة اللسان بعينهـا « ومن كلام كتاب الدواوين ان يقال صودر فلان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العامل على مال يؤديه اي قورف على مال صمنه » .

واما اساس البلاغة فلم يذكر المصادرة بشيء من هذا المعنى .

وكذلك لم أجد لها ذكراً في مختار الصحاح ولا في المصباح .

وظاهر من سكوت بعض المعاجم عن ذكرها ومن قول البعض الآخر انها « من كلام كتاب الدواوين » ان اللفظة مولدة في هذا المعنى .

بقي ان لسان العرب والقاموس يقولان ان المصادرة هي المطالبة بالمال والحال ان الناس يستعملونها اليوم بمعنى نزع المال من يد صاحبه . فاذا قلت : صادر الوالي فلاناً او صادره في امواله كان المعنى انه ابتزّه اياها ولم يكن المعنى مجرّد الطلب .

والجملة التي لبديع الزمان — وبديع الزمان الهمذاني حجة بين اهل عصره — تفيد انه يفهم المصادرة بالمعنى الذي نفهمه نحن اليوم لانه يقول ان الحصير « اخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات وزمن الغارات » فلو كانت المصادرة مجرد المطالبة لما اقترنت « بالغارات » ومجرد الطلب لا يخرج الحصير حتماً من الدور المذكورة .

و بالاختصار ارى استعمال « المصادرة » بمعنى اخذ اموال الوالي او اخذ الوالي اموال الرعية في كلام بديع الزمان توثيقاً لهذه اللفظة اكثر من ورودها في لسان العرب والقاموس .

الخوان — قالوا فيه انه شيء يؤكل عليه . وكنت أتخيّله بساطاً توضع عليه الجفان ولكني رأيت في هذه المقامة المضيرية نفسها ما علمت منه انه قد يكون له قوائم اي انه « كالاسكملة » .

فإن البديع يقول :

« تأمل بالله هذا الخوان وانظر الى عرض متنه وخفة وزنه وصلابة عوده وحسن شكله . قلت هذا الشكل فمتى الاكل . فقال الآن عجل ياغلام لكن الخوان قوائمه منه » وقبل هذه الجملة جملة يقول فيها :

« فأتى الغلام بالخوان وقلبه التاجر على المكان ونقره بالبنان وعجمه بالاسنان وقال عمر الله بغداذ فما اجود متاعها واظرف صنّاعها » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأنت ترى ان الخوان ليس بنسيج ولا ببساط ولا باديم بل هو شيء يُنقَر باليد ويعجم بالسن وانه يقوم على ارجل فهو اذاً من خشب او من معدن ·

وهنا خطر ببالي جدال وقع منذ نحو ثلاثين سنة بيني وبين الطيب الذكر الشيخ ابرهيم اليازجي اللغوي المشهور · فقد كان انتقد احمد شوقي بك في الفاظ رددت انتقاده اياها فجرّ ذلك الى مناقشة نال فيها مني عفا الله عنه وتعقبني في الفاظ وردت في كتابي « آخر بني سراج » ورددت عليه وتعقبته في بعض الفاظ جرى بها قلمه · ومما عابه عليّ استعمالي « النواقيس » بمعنى الأجراس · فقال ان الناقوس خشبة يقرع عليها قسيس النصارى يدعوهم بها الى الصلاة ولم يكن الناقوس جرساً من المعدن كما نفوهم ·

فأجبته : نعم هذا تحديد الناقوس في كتب اللغة وانه لكما قلت غير ان التقيُّد بمثل هذه التحديدات التي تصف الاشياء على حالتها الاولية ليس بصواب ·

فالناقوس عندما كان العرب في المضارب كان خشبة يقرع عليها القسيس فلما صار العرب الى الامصار والحواضر أطلقوه على الأجراس المعدنية الطنّانة الرنانة لان ترقي المسمى من حال البداوة الى حال الحضارة لا يستلزم تبديل اسمه · ولقد دخل العرب الى الاندلس وأثّلوا فيها تلك المدنية الزاهرة الباهرة واستعملوا الناقوس بمعنى الجرس وقد غلب الناقوس على الجرس لافادة هذا القرع الذي يدعو به القسوس الى صلاتهم وذلك لان الجرس قد يكون في الكنيسة وفي غيرها واما الناقوس فهو خاص بالآلة التي يقرع بها في الكنيسة دعوة للنصارى الى الصلاة ·

قلت يومئذٍ : واراكم تستعملون « الشباك » بمعنى الحديد الذي في النوافذ فهل تظن ان اصل الشباك في اللغة هو هذه القضبان او الحلقات الحديدية المشتبكة التي توضع في الطيقان · كلا · بل اصلها من قصب · فلما ترقى العمران صار القصب حديداً وبقي الاسم على ما هو عليه ·

قلت : وهل البيت في الاصل هو هذا المبني من الحجر والجبر المسقوف بالجذوع والتراب ؟ كلا · بل هو في الاصل بيت الشعر ·

وهلم جرّا ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذا الباب هو من الأبواب التي ينبغي الانتباه اليها والاعتماد عليها لان فيها توسيعاً لمجال التعبير بدون خروج عن اللغة .

تبدى — جرى اخذ وردّ في لفظة « تبدّى » بمعنى « بدا » وبعضهم يجيزها ويستشهد عليها بشعر جاهلي وبعضهم لا يجد لها مسوغاً . ويظهر ان ورودها بمعنى « بدا » في كلام الادباء مستفيض . وقد قرأت في الجزء الثالث من يتيمة الدهر للثعالبي قصائد مشهورة في صفة الفيل . فمنها قصيدة لعبد الصمد بن بابك يقول فيها :

وكأن عوداً عاطلاً في صفحتيه اذا تبدّى

ومنها قصيدة لابي الحسن الجوهري يقول فيها :

تلقاه من بعدٍ فتحسبه غماماً قد تبدّى

(لوزان) :

شكيب ارسلان
احد اعضاء المجمع